من فضلك ممكن توقيعك ! ؟

بشرى فاتح يحيى

طالبة سنة خامسة في كلية التربية - ارشاد نفسي (سورية)

التوقيع أو الإمضاء هو علامة تحديد هوية محرر عمل معين؛ فلكل شخص توقيع خاص به يستعمله لتوقيع الأوراق الخاصة به.

تاريخيًا؛ إن التوقيعات الشخصية تطورت من اللوح السومري إلى الشاشات حديثا!! فقد استخدم قدماء المصريين والسومريين صوراً مختصرة ورموزاً لنقل المعنى، وفي أحد الألواح الطينية السومرية الذي يعود الى ٣١٠٠ قبل الميلاد وُجد أنه يحمل علامات كاتبه (غار آما) الذي يعتبر أحد أقدم الأمثلة على استخدام الترميزات والتوقيعات دلالة على هوية الشخص. وقد عَرف الرومان التوقيعات في عهد (فالنتينيات) الثالث حوالي عام ٤٣٩ م ولكن وإلى عام ١٠٦٩ م لم يظهر كتوقيع من شخصية معروفة في كتب التاريخ إلا في تلك السنة.

ومصطلح التوقيع مأخوذ من (وقعت الإبل) أي اطمأنت بالأرض بعد التشبع بشرب الماء، وذلك لأن الكاتب الموقع يطمئن إلى تصرفه للأمر، وحسن قضائه فيه، و منها وقع ظنه على الشيء أي قدره، لأن الموقع يكتب رأيه بعد تدبر[1]. ومنه: وقع في الكتاب، أي بيَّن في إيجاز رأيه فيه بالكتابة، والتوقيع ما يُعلق به الرئيس على كتاب أو طلب برأيه فيه[2].

والتوقيعات فن نثري له صلة بفن الرسائل من حيث المضمون، فإذا كانت الرسالة تتضمن مطلباً يُراد تحقيقه من خلال بناء فني لها، فإن التوقيعات مع إيجازها تعد بمثابة جوابٍ للرسالة. والتوقيعات عبارة موجزة، سليمة التركيب، دقيقة الفكرة، مركزة، تحمل رأي كاتبها في شكوى، أو مسألة من المسائل، أو تعليقه على موقف معين.

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة وقع

[2] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوجيز، مادة وقع

ولم تأخذ التوقيعات صورتها الشائعة لتصبح قانونية وتستخدم في الحياة العامة إلا في عام ١٦٧٧م عندما حرر البرلمان الإنجليزي قانونًا بهذا الخصوص ونص القانون المذكور على توقيع العقود لحمايتها من الاحتيال خلال فترة الضمان وبحلول الوقت الذي وقع فيه (جون هانكوك) إعلان استقلال أمريكا في عام ١٧٧٦ .

كان التوقيع بمثابة عقد ملزم، استخدم على نطاق واسع في جميع انحاء العالم ومع ثمانينيات القرن العشرين وإلى اليوم تطورت التوقيعات بشكل سريع ودخلت في الإطار الإلكتروني وقد بدأ ذلك مع أجهزة الفاكس حيث يتم نقل التوقيع بعد مسحه وإرساله لمسافات بعيدة، وأصبحت العديد من المنصات تستخدم التوقيعات الإلكترونية وتعتمدها؛ بحيث يمكن إرسالها وتخزينها واستخدامها في أي وقت يتم إختياره، مع أن التوقيع قديمًا كان كتابة فقط، ومن ثم شاع استخدام "الختم" الذي يمثل التوقيع في زماننا الحاضر، وكان لكل كاتب ختم خاص محفور فيه اسمه. ولا يزال هذا الختم معروفًا إلى يومنا هذا في المحاكم الشرعية ولدى كتاب العدل حيث يحمل كل قاضٍ وكاتب عدل ختمًا يرافق توقيعه منعًا للتزوير وزيادة في الحرص، وبعد فترة من الزمن وبسبب زيادة أعداد المتعلمين بدأ الناس يستعيضون عن ذلك التوقيع باليد بإستخدام القلم خاصة بعد ظهور الوظائف الحكومية التي صارت تطالب موظفيها إثبات حضورهم وانصرافهم بالتوقيع في سجلات خاصة، إلا أنه لا تزال شريحة من الناس وخاصة كبار السن، لا تحسن التوقيع، فتلجأ إلى الاستعاضة عنه بالبصمة من خلال غمس إصبع إبهام اليد اليمنى في جروف الإصبع ثم الضغط على مكان التوقيع في الورقة حيث تظهر البصمة وتكون بمثابة توقيع ومصادقة على ما كتبه؛ فبصمة الأصبع من أقوى الإثباتات التي لا يمكن تزويرها في أي زمان ومكان؛ وباستخدامها بدل التوقيع؛ فلا يمكن لإنسان تزويرها إذ أن لكل إنسان بصمة إصبع لا تطابق بصمة غيره ولو كان أقرب قريب وهذا من الإعجاز الإلهي، فبصمة الإنسان تتكون وهو طفل في رحم أمه في الشهر السادس من الحمل وتبقى حتى الموت لا تتغير مهما جرح الشخص إبهامه أو تشوهت إصبعه حيث تعود للنمو لتأخذ العلامات ذاتها التي كان يتميز بها هذا الإبهام.

أما التوقيع فهو مكتسب أو يخترعه الشخص، وهناك من الناس من أصبح توقيعه معقد كي لا يتمكن أحد من تزويره؛ فمن خلاله يَعقد معاملات البيع والشراء، ويثبت به حضوره، حتى صارت بعض التواقيع لوحة فنية؛ بل إن البعض يعرف صاحب الكتابة بمجرد رؤية توقيعه، وهناك من يكافح للحصول على

توقيع من شخصية مشهورة، والبعض من يستغل توقيعات المشاهير لبيعها والمتاجرة فيها للمعجبين، كذلك هناك أشخاص تبقى لسنوات محتارة في اختيار التوقيع الخاص بها.

وبشكل عام فإن التوقيع جزء من الإبداع البشري والهوية الشخصية منذ آلاف السنين.